المدرسة الإصلاحية الجزائرية ودورها في تعليم البنات وإصلاح المرأة خلال النصف الأول من القرن العشرين

Algerian Reform School and its role in girls' education and women's reform during the first half of the 20th century

زهير بن علي[1]

طالب دكتوراه بقسم التاريخ –جامعة باتنة1

benalizahir@gmail.com

تاريخ الوصول : 2019/04/24 القبول: 2020/05/12 /النشر على الخط: 2020/06/15

Received: 24/04/2019 / Accepted: 12/05/2020 / Published online : 15/06/2020

الملخص:

منذ مطلع القرن العشرين؛ أدرك روّاد الإصلاح الإسلامي بالجزائر، من أمثال عبد القادر المجاوي وغيره؛ أهمية تربية وتعليم البنات وإصلاح المرأة لصلاح المجتمع، وبتبلور الحركة الإصلاحية في عهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي... تجسّد مشروع النهوض بالمرأة الجزائرية عن طريق التعليم، فتأسّست لهذا الغرض 'جمعية التربية والتعليم' بقسنطينة عام 1930، ثم ميلاد 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين'، فتمّ إنشاء المدارس الإصلاحية وتخصيص أقسام للبنات، وانتشر التعليم العربي الحر في القطر الجزائري، وخصّ العلماءُ النساءَ بدروسٍ وحلقاتٍ للوعظ والتعليم في المساجد.

الكلمات المفتاحية: الحركة الإصلاحية الجزائرية؛ إصلاح المرأة؛ جمعية العلماء؛ التعليم العربي الحر؛ تعليم البنات.

Abstact:

Since the 20th century, the pioneers of reform in Algeria, such the importance of educating girls and reforming women, in order to reform the society as a whole. As the reformist movement crystallized under the reign of Sheikh Abdelhamid ibn badis; the project for the renaissance of was founded for this purpose by the Association of Education in Constantine in 1930, then the birth of the Association of OLAMA, also the establishment of free Arab education... Classes were also devoted to preach and educate women.

Key words: Algerian reformist movement; women's reform; association of Olama; Arab education; girls ' education.

[1] المؤلف المرسل: زهير بن علي الإيميل : benalizahir@gmail.com

مقدمة:

قامت الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر؛ في شكل حركة إحياء تعتمد التطوّر الذاتي لتجاوز التخلّف الاقتصادي والتفكّك الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الجزائري، في ظلّ سياسة الاحتلال الجائرة، والتي حطّمت منظومة المجتمع الجزائري المسلم، وأخضعته كلّية لخدمة الاستيطان والاقتصاد الفرنسي. وعلى اعتبار أنّ الإصلاح وسيلة من الوسائل لوقف المدّ الاستعماري ومحاصرته؛ يمكن القول أنّ الحركة الإصلاحية كانت تحمل مشروع مجتمع، يقوم على إحياء القيم الأخلاقية وفق نظرة دينية وحضارية، وبأسلوب تجديدي عصري، يهدف إلى الحفاظ على مقومات الأمة، فكتب محمد البشير الإبراهيمي: "إنّ لفظ 'حركة' في العُرف العصري العام؛ لا يُطلق إلاّ على كل مبدأ تعتنقه جماعة، وتنساق لنصرته ونشره والدعاية والعمل له عن عقيدة، وتُهيّئ له نظامًا محدّدًا، وخطّة مرسومةً وغايةً مقصودةً"[1].

لقد تبنّت النخب الإصلاحية الإسلامية في الجزائر منذ مطلع القرن العشرين قضية المرأة الجزائرية، ودأبت على الدعوة إلى إصلاح حالها، وإخراجها من حالة الجهل والتخلّف الذي سلّطه عليها الاحتلال الفرنسي؛ بسياسته الرامية إلى طمس مقومات الأمة الجزائرية، ومسخ هويتها. وتولّى روّاد الإصلاح؛ من أمثال محمد بن الخوجة، عبد القادر المجاوي، محمد بن أبي شنب وعمر بن قدور... وغيرهم؛ الدعوة إلى وجوب تربية وتعليم البنات، وفتح أبواب المدارس أمام الجنسين، ليتولّى الجيل الثاني من المصلحين؛ جيل ابن باديس ورفاقه من العلماء وطلبته؛ مع بداية الربع الثاني من القرن العشرين تجسيد هذا المشروع الإصلاحي إخراجه إلى حيز التنفيذ، عبر العمل الصحفي بداية؛ ثم تأسيس الجمعيات والنوادي، وإنشاء مدارس التعليم العربي الحرّ، التي انتشرت عبر القطر الجزائري، فعرف هذا المشروع انطلاقته الفعلية سنة 1930م؛ بتأسيس 'جمعية التربية والتعليم' بقسنطينة، ثم 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين' في شهر ماي عام 1931م، وقبلهما نادي الترقي بالعاصمة.

وهكذا أصبح المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ فضلا عن كونه حركة علمية ناهضة تكيّفت مع الواقع الجديد، وناهضت المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر؛ الهادف إلى مسخ شخصية الفرد الجزائري، وهدم أركان هويته، فعملت رجال الإصلاح على التوفيق بين متطلّبات الحفاظ على التراث العربي الإسلامي ومقتضيات ذلك العصر؛ لذلك دعا العلماء إلى فتح أبواب التعليم أمام الفتيات المسلمات، داخل الأطر الإسلامية والأخلاقية، وهي النّظرة التي ضمّنها ابن باديس مشروعه للإصلاح الاجتماعي وعمل على إخراجها إلى حيّز التنفيذ.

وانطلاقا مما سبق ذكره؛ يمكننا أن نتساءل عن دور المدرسة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر المستعمرة في إخراج المرأة من حالة الجهل والأمية التي سلّطها عليها الاحتلال الفرنسي لعقود من الزمن؟ وعن مساهمة العلماء في النهوض بالمرأة الجزائرية وجعلها قادرة على لعب أدوارها المجتمعية والاقتصادية والسياسية؟ وكيف خدم الإصلاحيون الهدف الأسمى، ألا وهو العمل النضالي الوطني للتحرّر من قبضة الاحتلال الفرنسي؟

---

[1]- عبد الهادي بوطالب: حقوق الأسرة وتحرير المرأة، دار الثقافة؛ مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د ت)، ص95.

1- روّاد الإصلاح والدعوة إلى تربية وتعليم المرأة:

تأخّر طرح قضية المرأة في الجزائر، إذا ما قورنت بمصر أو تونس مثلا، وقد تناولتها أقلام النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية (المفرنسة) بدايةً، حيث رأوا أنّ تطور المرأة وحريّتها تكمن في تعليمها تعليما فرنسيا يعكس متطلّبات التحضّر، كما تفرّق دعاة الإصلاح في أسباب تدّني أوضاع المرأة الجزائرية، فأرجعها البعض إلى تقاليد وعادات المجتمع الجزائري، والمقاومة السلبية التي أبداها في وجه المشروع 'التحضيري' الفرنسي، مما حال دون التحاق الجزائريين بالرّكب الحضاري، بينما أوعز البعض التخلّف والتقهقر الذي أصاب المجتمع إلى طبيعة السياسة الفرنسية نفسها.

بالنسبة للنخبة الدينية؛ فقد انقسمت بخصوص قضية المرأة إلى اتّجاهين؛ المتشبّثين بالأصالة ودعاة المحافظة من جهة، ودعاة التّحديث والترقّي والعصرنة من جهة ثانية، وبذلك أقحم موضوع إصلاح أوضاع المرأة الجزائرية في حلبة الصّراع بين المحافظين والتحديثيين، وأصبح لكلّ واحد من الفريقين آراءه وأدبياته وقناعاته الخاصة، وتحوّل النقاش الفكري أحيانا إلى نقاشات جدلية لا طائل من ورائها.

من اللافت أيضا؛ أنّ الصحف التي ظهرت جزائر منذ بداية القرن العشرين بدأت تصدر باللّغة العربية، والمواضيع التي عالجتها كانت شبه محظورة على الجزائريين قبل ذلك التاريخ[1]؛ فمن القضايا التي تناولتها الصحافة قضية التجنّس والإدماج، وقضية المرأة، وقضايا الطفولة المشرّدة...[2] وأسباب التخلّف وسبل القضاء عليه. وكانت أوّل صحيفة عربية وطنية هي جريدة 'الحقّ' التي أنشئت بمدينة عنابة في سنة 1894م، ثم صدرت 'كوكب إفريقية' للشيخ محمود كحّول سنة 1907م، وتلتها صحيفة 'الجزائر' للشيخ عمر راسم في عام 1908م، وظهرت بوهران جريدة 'الحق الوهراني' في سنة 1912م، وفي سنة 1913م، أنشأ الشيخ عمر بن قدور جريدته 'الفاروق'، وهي أوّل جريدة عربية جزائرية منتظمة الصدور، حيث عمّرت إلى سنة 1915م، وصدر منها عشرات الأعداد، وأثّرت تأثيرًا واسعًا وعميقًا في الجزائر. كما أصدر عمر راسم جريدته الثانية 'ذو الفقار' في سنة 1913م أيضًا، في شكل مجلّة مصوّرة، وابتدأ الأمير خالد نضاله السياسي والاجتماعي بجريدة 'الإقدام' التي ظهرت في سنة 1920م[3].

كما صدرت العديد من الصحف باللّغة الفرنسية، وكان أصحابها من الجزائريين المخلصين لقضايا وطنهم، غير أنّها كانت صحافة سياسية محضة، تُطالب بالحقوق السياسية، غايتها تحقيق المساواة في الحقوق والإدماج، وباستثناء جريدة 'الدفاع' للأمين العمودي، و'الإسلام' للصادق دندان، فإنّ البقية لم تعتن بالإصلاح الديني والاجتماعي[4].

---

[1] – يجب أن ننوّه هنا بالجوّ العام الذي كان سائدًا في جزائر بداية القرن العشرين، مع بعض التسامح من طرف الإدارة الاستعمارية، أو كما أطلق عليها البعض 'مرحلة التهدئة' علي يد بعض الحكّام العامين؛ أمثال لويس تيرمان (1881-1891) وجون كاميون (1891-1897) وشارل جونار (1903-1913). أنظر: أحمد مريوش: الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص28.

[2] – أحمد مريوش: "مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر 1900-1952"، مجلة الحكمة، ع.1، أفريل 2009، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ص108.

[3] – محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.2، المطبعة العربية، الجزائر، 1981، ص ص7-8.

[4] – المرجع نفسه، ص12.

لقد سبق هذه النهضة الصحفية ورافقها ظهور ثلّة من روّاد الإصلاح الجزائريين، الذين اهتمّوا بقضايا المجتمع الجزائري، وبحال المرأة المسلمة فيه، فدعوا إلى تعليمها وإخراجها من حالة التخلّف والجهل التي سلّطت عليها من طرف المجتمع الذكوري الأبوي، وكرّستها سياسة الاحتلال المجحفة في حقّ الجزائريين طيلة عقود من الزمن، من بين هؤلاء الروّاد نذكر: محمد بن الخوجة، محمد بن أبي شنب، عبد القادر المجاوي، عمر بن قدور... وغيرهم.

1-1- عبد القادر المجاوي: صلاح المجتمع بإصلاح المرأة:

ولد بمنطقة تلمسان في الغرب الجزائري سنة 1848م، لذلك يُعرف أيضا بـ 'عبد القادر التلمساني'[1]. يُعتبر الشيخ عبد القادر المجاوي من العلماء الموسوعيين في عصره؛ بكثرة تحصيله وغزارة علمه وتنوّع معارفه، ومشاركته في كلّ فنّ من فنون عصره. وقد عاش مُعلّمًا وأستاذًا، تخرّج على يده عدد من بُناة النهضة العلمية والأدبية في الجزائر، كان أشهرهم الشيخ حمدان لونيسي، الأستاذ الأوّل للشيخ عبد الحميد ابن باديس، كما خلّف لنا المجاوي مجموعة مؤلّفات بلغت ثلاثة عشر[2]، كان آخرها كتاب 'اللُّمَعُ على نَظْم البِدَع' وهو شرحٌ على 'منظومة البدع' أو 'المُنصفة في البدع' لتلميذه ابن الموهوب، وقد طُبع هذا الكتاب سنة 1912م بمطبعة فونتانة بالجزائر، وتناول فيه موضوع البِدَع والخرافات والكبائر، التي كانت مُنتشرةً في المجتمع القسنطيني والجزائري عموما، والتي تسبّبت في شلّ حركته الفكرية والعلمية، وعطّلت مواكبة الركب الحضاري[3].

لقد أدرك رائد الإصلاح الاجتماعي في الجزائر عبد القادر المجاوي مكمن الداء، فأرجع فساد أخلاق الناشئة إلى جهل المرأة بالأساس، وإلى ابتعادها عن مجال التربية وحرمانها من التعليم، وقد انتقد طرق التعليم السائدة في زمنه، وكان يرفض التعليم العربي التقليدي، الذي أصبح لا يفي بمتطلّبات ذلك العصر، فدعا إلى الإصلاح والتجديد، ومن هنا يحقّ لنا أن نُخرج المجاوي من جماعة المُحافظين؛ إذ كانت المُحافظة تعني الاقتصار على آثار ومنهج السلف[4].

وبدا تأثّر الرجل واضحاً لمال آل إليه وضع المرأة المسلمة، التي كانت تعاني الجهل والأمية؛ حالها في ذلك كحال المجتمع الجزائري في ظلّ السيطرة الفرنسية، وما زاد الوضع سوءا هو خضوع المرأة للعادات البالية والأعراف الاجتماعية الفاسدة، الناتجة عن التفسير الخاطئ لأحكام الدين الإسلامي، وإغفال النّاس للدور التربوي الذي تلعبه المرأة في تهذيب الأبناء إلى جانب الرجل، وهذا ما جعل المجاوي مُدركا للدّور المنوط بالمرأة المسلمة، إذا تلقّت الاهتمام اللاّزم لإصلاح شؤونها؛ بدءًا من احترام الرجل لها، وإعطائها المكانة اللائقة بها في الأسر والمجتمع، وصولاً إلى حقّها في التعليم المفيد؛ لأنّ تربية الأطفال على يد أمّهات

---

[1]- Ounassa Tengour-Siari: « Medjaoui Abdelkader (vers 1840…) parcours », les hommes et l'histoire, n° 13-14, octobre 1990, p.179.

[2] – رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940، ط.3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص106.

[3] – عبد القادر المجاوي: تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب والاختيار، (ضمن سلسلة الشيخ عبد القادر المجاوي حياته وأعماله)، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 ، ص ص27،71.

[4] – عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج.1، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص ص137-138.

جاهلات أو متعلّمات تعليمًا ناقصًا، يُسبّب الضرر للأولاد ثم للمجتمع: " وما كثُر الفساد في أمّةٍ إلاّ بعدم تربية الأولاد، فإنّا نرى الأولاد مُهمَلين يتعلّمون الفساد ويرتكبُون المعاصي، حتّى صارت ديار آبائهم خرابا"[1].

يحذّر عبد القادر المجاوي من تعليم المرأة تعليمًا ناقصًا غير مُفيد، ففي هذه الحالة ستكون الجاهلة خير منها؛ لأن ذلك سيؤدّي إلى تكبّرها وعنادها، وعدم وعيها بأهمية العلم الذي تحمله، فتُسيء تربية أبنائها وتعجز عن تدبير شؤون بيتها، يقول: "... فالمرأة التي تظلّ باقيةً على سذاجتها الأولى فلم تتلقَّ شيئًا من مبادئ العلوم والفنون، ولم تُمارس القراءة والكتابة، قد يتيسّر أن نُقنعها بأنّها جاهلة، ثمَّ نُوصيها بلُزوم الرّجوع في تربية طِفلها إلى رأيِ من هو أعْرفُ منها بشؤون التّربية (...) أمّا التي تعلّمت تعلُّما ناقصًا، ورأى أولياؤها ألاّ يعطوها من العلوم سِوَى قِراءة القرآن، وكتابة أبجد هوز، وجناب الأكرمين حاسبين أنّ ذلك القَدر كافٍ، وأنّه أَلْيَقُ بها وأحْوط في سلامة دينها وآدابها، فإنّ هذه المرأة تُصبح بهذا التّعلّم النّاقص ذات عجبٍ وعِناد ونجاح، فلا تعود تُصغي لمشُورة من هو أَعْلَمُ منها، ولا تقف في إفساد تربية ابنها وتدبير منزلها عند حدٍّ، فتُسيء الظنّ بزوجها، وتغلّ يده عن استثمار مالها وتدبير منزلها على غير ما تقتضيه قواعد الاقتصاد وأصول الصّحة ووسائل التّطهير والنّظافة، وتُحاول تربية أولادها فتخلّ بقوانين التّربية، وتفتات على المربّي المفيد اعتدادًا بكفاءتها، وأنّ معرفتها لتلك القراءة النّاقصة جعلتها أهلاً لكلّ شيء، وعالمة بكلّ شيء، وخبيرة بكلّ شيء أيضا..."[2]. كما بيّن محاسن المرأة المتعلّمة: "أمّا المرأة التي عرف أولياؤُها كيف يعلّمونها، وكيف يجعلونها تستفيدُ من الذي تلقّته، فإنّها إذا تزوّجت، فيا سعد زوجها بها، وإذا رُزقت أولادًا، فيا سعادة أولادِها من أجلها. تعلّمت القرآن والكتابة لكن لم تتعلّمها لذاتهما؛ بل لتتوصّل بهما إلى درسٍ أعلى، وتحصيل فوائد أغلى..."[3].

نفهم من هذا أنّ المرأة إذا أحسَن الأولياء تعليمها، ستستفيد مما تعلّمته في إسعاد زوجها وأولادها، فتريحهم وتغرس في نفوسهم الفضيلة والتربية الصحيحة، وتتعدّى ذلك إلى الاهتمام بصحّتهم، ونظافة أبدانهم ونقاء أرواحهم. كما تساهم في حثّ أولادها على طلب العلم وتحبّبه إلى قلوبهم، وتمهّده لهم بالنّصائح، وتحذّرهم من رفقاء السّوء، وتلفت نظر زوجها إلى ضرورة تحبيب العبادات إلى قلوبهم، وخاصة الصلاة، منذ الصغر؛ كي يتعوّدوا على الطّباع الحميدة ويشبّوا عليها[4].

والحقّ أنّ دعوة المجاوي إلى تعليم المرأة كان لها أثر كبير؛ حيث بدأت الصحافة الجزائرية تهتمّ بهذه القضية، ومن الذين تأثّروا بأفكار المجاوي، الشيخ عمر بن قدور الجزائري، الذي ألحّ على تعليم الأطفال دون الحاجة إلى التفريق بين الذكور والإناث[5]، لأنّ ظروف الاحتلال لم تكن تسمح بتخصيص مدارس للإناث منفصلة عن مدارس الذكور.

1-2- محمد بن مصطفى بن الخوجة: تعليم البنات مُبتدأ كل إصلاح: لم يكن المجاوي وحده من بين النخب الإصلاحية التي اهتمّت لحال المرأة ودعت لتعليم البنات، فمن بين معاصريه الذين أولوا لقضية تعليم (الأهالي) أهمّية قصوى،

---

[1] – عبد القادر المجاوي، المصدر السابق، ص115.

[2] – عبد القادر المجاوي: اللّمع على نظم البدع: شرح منظومة البدع للمولود بن الموهوب، تح.عبد الرحمان دويب، دار زمورة، الجزائر، 2010، ص116.

[3] – المصدر نفسه، ص117.

[4] – حميدة دريادي: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة: 1848-1914، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2012/2011، ص133.

[5] – المرجع نفسه.

وكانت هذه المسألة حاضرة في كتاباتهم ولقاءاتهم مع رجال الفكر والثقافة من الفرنسيين؛ مصطفى بن الخوجة (مصطفى الكمال)، وهو من النخب الجزائرية عالية الثقافة، حصل على الشهادة في اللغة العربية (Diplôme D'Arabe) في سنة 1894م، وكان عضو بالمَجمع العلمي العربي بدمشق، كما نال دكتوراه في الآداب من جامعة الجزائر، وأصبح أحد أساتذتها الأفذاذ، ترك لنا عدّة كتابات في التربية والتعليم، ومؤلفات في الأدب واللغة والتاريخ والتراجم والسّير...[1].

رافع ابن الخوجة لصالح تعليم أبناء وبنات المسلمين الجزائريين خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، وظهر اهتمامه بقضية المرأة بتأليفه كتاب: 'الاكتراث في حقوق الإناث'، قبل قاسم أمين صاحب كتاب: 'تحرير المرأة'، وقد تكون كتابة ابن الخوجة في هذا الموضوع بإيعاز من الإدارة الفرنسية، أو في سياق توجّه جديد مع مطلع القرن العشرين، سبقه ظهور عدّة كتابات فرنسية حول موضوع المرأة، من بينها كتاب يوجين دوماس (Eugene Dumas) 'المرأة العربية'، والذي ألّفه صاحبه في أربعينات القرن التاسع عشر، ولم يُنشر إلاّ في سنة 1912م، وكتاب أرنست مرسييه (Ernest mercier): 'وضع المرأة المسلمة في الشمال الإفريقي' سنة 1895م، وكتاب جوزيف ديسبارمي (Joseph Desparmet): 'الفوايد في العوايد والقواعد والعقايد.." وهو من كتب الدارجة التي تناولت عادات المجتمع الجزائري وطقوس المرأة، وأيضا كتاب الناشطة النسوية الفرنسية هوبرتين أوكلير (Hubertine Auclert): 'نساء عربيات في الجزائر' (femmes arabes en Algérie) ، وكذلك تبعه ظهور كتب أخرى منها كتاب: 'الحياة المدنية الإسلامية في مدينة الجزائر ووضع المرأة طبقًا للقرآن والسنّة وأعمال المرأة المسلمة' لصاحبه محمد بن أبي شنب سنة 1907م، وقد يأتي كتابي ابن الخوجة: 'الاكتراث في حقوق الإناث' و 'اللّباب في أحكام الزينة والاحتجاب' في سياق الزّخم والنقاش الذي بدأ يُثار حول موضوع المرأة وإصلاح أحوالها في العالم العربي والإسلامي[2].

في 'الاكتراث...' تطرّق محمد بن الخوجة إلى المسائل الفقهية والاجتماعية للمرأة المسلمة، ومع أنّ جل اهتمامه انصب على الجانب الشرعي؛ بحكم تكوينه الديني وثقافته الإسلامية والفرنسية، إلا أنّ 'مصطفى الكمال' طرَقَ الكثير من المسائل المستجدّة في حياة المرأة، وجاءت طروحاته ضمن سياق تاريخي عكس الظروف التي كانت تعيش في ظلّها النساء الجزائريات. أمّا في كتابه الثاني، فقد أفرد مباحثه للأحكام الفقهية المتعلّقة بالزّينة، ولمسائل اللّباس والاحتجاب عند الجنسين، وضمّنه إشارات إلى قضايا متعلّقة بالمرأة وحرّيتها وخروجها إلى العمل لمساعدة زوجها، واعتبر ابن الخوجة أنّ من شروط اختيار الزوجة ابتداءً؛ وهي ذاتها أسبابًا للألفة وطيب العيش بين الزوجين، مبيّنا مقاصدها الثمانية: الدّين، الخُلُق الحسن، الجمال، خفّة المهر، الولادة، البكارة، النّسَبُ الطيّب، والبعد عن الزواج من الأقارب. أما أهمّها: " كونها ديّنة صالحة فهو الأصل في الخصال، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء والاهتمام بشأنه، فإنّها إن كانت ضعيفة الدين، بحيث لا تهتمّ في صيانة نفسها عن الخسائس، وفرجها عن المحارم، أزرَت بزوجها و فضحته، وسوّدت وجهه بين النّاس بهتك عرضه، وشوّشت قلبه وتُنغّص بذلك عيشه، فلا يتهنّى في أحواله قطّ،

[1] – أنظر الترجمة الوافية للرّجل وأهمّ آثاره وبحوثه في: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: محمد بن أبي شنب: حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص181.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.6 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص186.

فإن سَلَكَ معها سبيل الحميّة الدينية والأَنَفَة الإيمانية والغيرة الإنسانية، لم يزل معها بلاءٌ لا يبيد، ومحنة تزيد، وإن سلَكَ سبيل التّساهل والتّغافل، كان متهاويًا بدينه وعِرضه، ومنسوبًا إلى الدّياثة"[1].

وطرح مشكلة سوء أخلاق النساء التي استشرت في المجتمع الجزائري فقال: "إنّ جلّ نساءنا يتطاولن على رجالهن، ويكلنهم ما لا يُطاق من الإنفاق والتبذير، ومنهن من لا تُحيّي زوجها ولا تُرحّب به ولا تبشّ (من البشاشة أي الابتسامة) في وجهه، بل تُعرض عنه ولا تُجيب نداءه ولا تمتثل أمره وفيهنّ من تشتمه وتدعو عليه مُشافهةً، حتى اضطرّ بعضهم إلى تأديبهنّ بالضّرب، زيادة على بذل جهده من اللّعن والسبّ. و سبب ذلك كلّه هو جهلهنّ وجهل أزواجهن بعلم الدّين، المُرادف للفظة التمدّن عند غيرنا..."[2]. كما عقد مقارنة بين المرأة العربية ونظيرتها الأوربية، من حيث حُسن معاملة الأزواج، مُعتبِرًا أنّ تعلّمهن (الأوربيات) هو علّة ذلك: " وبعكس ما ذكرناه؛ نساء الإفرنج فإنّ غالبهنّ لا ينهجن مع بعولتهنّ ذلك النهج، وما ذاك لتغذيتهنّ بلبان المعارف التّالد (القديم) منها، والطّارف (المتأخر أو الحديث)، ولا غرو؛ فالعلم أكمل مذهبٍ وأحلّ مؤدّبٍ، وهو مقوّم نفوس الأمم، ومعدّل الطّباع والشّيم. وأنّى لنسائنا مجاراتهنّ في ميدان أو الموازنة معهن بميزان، وقد بلغْن في الجهل الغاية القصيا (كذا)، وركبن في هضم حقوق أزواجهن متن عميا، ولهذا كان أغلب المتأهلين منا في عناء كبير، وبلاء خطيرٍ، وبهما عظُم الشّقاق، وكثُر الطّلاق، والأمر كلّه لله، ولا قوّة إلاّ بالله"[3].

ولابن الخوجة آراء كثيرة يمكن الرجوع إلى إليها في كتبه المذكورة، فالمتمعّن فيما طرح الرجل يدرك فهمه للأسباب الفعلية لتخلّف المرأة، وفي مقدّمتها غياب التعليم الجاد، كما يلمس معرفة الرجل بسبل إصلاح وضع المرأة في الجزائر.

1-3- عمر بن قدور الجزائري: يُعتبر عمر بن قدور، من روّاد مدرسة الإصلاح الإسلامي المتأثّرين فكريًا بالشّيخ محمد عبده، ومجلّة 'المنار' للسيد رشيد رضا، فقد أراد أن يُقلّده في محاربة البدع والخرافات بالجزائر عن طريق نشر الوعي والإصلاح الدينيين بواسطة الصحافة، ولعلّ ذلك ما دفعه إلى إنشاء أهمّ صحيفة عربية إسلامية في الجزائر، مثّلت الانطلاقة الحقيقية في الاتّجاه الوطني هي جريدة اختار لها اسم 'الفاروق'، وهي أوّل جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية المعتبرة، اهتمّت بقضايا المسلمين الجزائريين، وحلّلت واقعهم المرّ، وركّزت بصورة خاصة على أحداث تركيا العثمانية ناصحةً ومُحلّلة لأوضاع المسلمين السائدة في ذلك الوقت. وقد جاء في افتتاحيتها أنّها " *جريدة إسلامية بكلّ معاني الكلمة، تبحث في شؤون المسلمين مع مراعاة الاعتدال الذي اختارته مشربًا لها*"[4].

ربط عمر بن قدور تخلّف الأمة بجهل المرأة، وهو نتيجة طبيعية وحتمية لأجيال من الأبناء يتربّون ويكبرون في حجر أمّهات جاهلات، فقال: " لو قيّض الله للمسلمين أن يُدركوا حقائق الأسباب التي منعتهم من النّهوض إلى تنمية حياتهم، وحفظ حيّزهم القومي من أدواء الاضمحلال؛ لعثروا بجهل المرأة يقرض عروة الجامعة كالجرذ، ويقطع ظهر الملّة كالسّيف، وإنه جالب الخزي والوبال والمحبط لأعمال الرجال". وبيّن خطورة تأثير المرأة غير المتعلّمة على المجتمع: " إنّ النساء يلعبن بجهلهن دورا

---

[1] – مصطفى بن الخوجة: الاكتراث في حقوق الإناث، تح. زهير قوتال، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص ص28-29.

[2] – المصدر نفسه، ص80.

[3] – نفسه، ص81.

[4] – محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط.2، ألفا ديزاين، الجزائر، 2006، ص33.

مهمّاً في دسّ السّم في الدسم، وبأيديهن مفاتيح أقفال جيوب الرجال ومداركهم، وقد استأنس الرّجال بما يكدْن به، وظنّوا ذلك لُبّ الدّين ومختار اليقين، وحسن ما يأتي به الاجتماع للناس أجمعين. إنّما بين الجدران أخطار مُهلكة، فاق شرّها شرّ ما بين الضّلوع، وعظُم وبْلها على الجل والمجموع، واحتوى كيدها على منع المباح وتناول الممنوع"[1].

لقد اتّفق روّاد الإصلاح على تشخيص داء التخلّف الذي أصاب المجتمع الجزائري، واستطاعوا وصف الدّواء اللازم لعلاجه، لكنّ ظروف ذلك العصر لم تكن لتسمح لهم بالمجاهرة علانية بنقد الموقف الفرنسي من تعليم 'الأهالي'، كما لم يتسن لهم أيضا بعث مشروع إصلاحي لفائدة المرأة الجزائرية، بالنّظر لتضييق الإدارة الفرنسية ومعارضة المستوطنين لكلّ مبادرة تستهدف إعطاء ولو النزر القليل من الحقوق للجزائريين.

2- الشيخ عبد الحميد بن باديس وتعليم البنات: من التفكير إلى التنفيذ:

مثّل المُصلحون الأوائل باكورة مشروع النهضة والإصلاح في الجزائر المستعمرة، مع أنّ تعليمهم لم يكن عربيًا خالصًا؛ فمنهم أيضاً من التحق بالمدرسة الفرنسية منذ الصبا، فكانت ثقافته فرنسية، وتعليمه مزدوجًا (عربي- فرنسي)، بعد أن تلقّى في الصغر تعليما قرآنيا خالصاً في المساجد والكتاتيب، قبل أن يتدرّج في أطوار التعليم الرسمي الفرنسي، وقلّة منهم تمكّن من الالتحاق بالجامعات الفرنسية على غرار محمد بن العربي، محمد بن أبي شنب[2]...، والقاسم المشترك بينهم جميعا؛ قدرتهم على تشخيص واقع المجتمع الجزائري السيئ، وإدراكهم لأهمية ودور المرأة في إصلاحه، فدعوا إلى ضرورة تربية وتعليم المرأة الجزائرية، لرفع الضيم عنها وتحسين أوضاعها. فكانت دعوتهم إلى ضرورة الإصلاح ذات صبغة عصرية تحديثية؛ مُنفتحة على متطلّبات ذلك العصر، حيث رأى هؤلاء أنّ التعليم الفرنسي مُفيد، عكس ما كان شائعاً في أوساط المجتمع الجزائري؛ بأنّه شرٌّ خالصٌ لا نفع فيه، واشترطوا أن يُربَّي الأولاد تربية دينية صحيحة، ويأخذون حظّهم من العلوم الدينية واللغة العربية[3]، قبل أن يلجوا المدرسة الفرنسية، وينهلوا من مختلف العلوم.

كانت قضية تعليم البنات وإصلاح أحوال النساء؛ من أهمّ القضايا التي طُرحت على بساط البحث والنقاش بين النخبة الجزائرية، ورغم أنّهم لم يصلوا إلى درجة المطالبة بمساواتها بالرّجل؛ إلا أنّهم دعوا إلى تحريرها من ربقة الجهل ووطأة العبودية، وقد انقسم الرأي بينهم بخصوص تعليمها إلى اتّجاهين[4]؛ اتجاه مؤيد وآخر متحفّظ على تعليمها تعليما كاملاً؛ بمعنى أن يقتصر

---

[1] – عمر بن قدور: "بجهل المرأة المسلمة وأحلامها الفاسدة نال الشعب من كوارث البدع ما ناله"، الفاروق، ع.38، (28 نوفمبر 1913).

[2] – محمد بن أبي شنب من علماء جزائر القرن العشرين وروّاد الإصلاح فيها، ومن أهمّ الشخصيات المثقّفة التي خدمت الثقافة العربية وعلومها، كتب عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس في 'الشهاب' بعد وفاته يوم 05 فيفري 1929م: "لمّا عرفناه فقدناه'. أنظر: عبد الحميد بن باديس: " الأستاذ ابن شنب رحمه الله تعالى"، الشهاب، ج.2، شوال 1347هـ.

[3] – محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص4-7.

[4] – عبد الكريم بوالصفصاف: "موقف العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم المرأة الجزائرية إبان الربع الثاني من القرن العشرين"، مجلة سيرتا، ع.1، جمادى الثانية 1399هـ/ماي1979م، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، ص ص60-61.

على تعليمها قصار سور القرآن بطريقة التلقين دون كتابة، وتدريبها على ما تحتاجه لتربية أبنائها وخدمة زوجها وتدبير شؤون منزلها فحسب.

لم يُول ابن باديس اهتمامًا كبيرًا لهذا الجدل بخصوص حدود تعليم المرأة، عدا تأكيده على قضية الفصل بين الجنسين، كما كان يفعل في حلقاته التعليمية والدعوية، ولم يتوقّف طموح رائد الإصلاح الجزائري عند التفكير في الطريقة المثلى لتربية وتعليم الفتاة المسلمة، والرّقي بها أخلاقيًّا ودينيًا واجتماعيا فحسب، بل بادر إلى تأسيس 'جمعية التربية والتعليم الإسلامية' بقسنطينة عام 1930م، التي أوكلت لها هذه المهمّة، وشرع في فتح المدارس الحرة بكامل القطر الجزائري، وفسح المجال أمام البنت للتعلّم بتخصيص أقسام خاصة لها، وبدعوته الأولياء إلى إلحاق أبنائهم ذكورا وإناثا بالمدارس الإصلاحية، وجعله تعليم الإناث بالمجّان سواء كنّ غنيّات أم فقيرات.

إذا كانت الرعيل الأوّل من رجال الإصلاح قد اقتصر تفكيره في مسألة المرأة على جانبه النظري، دون إخراج تلك الطروحات الفكرية إلى حيّز التنفيذ، فإنّ ابن باديس هو أوّل من ودعا إلى تعليم المرأة صراحةً عبر مقالاته الصحفية التي تتصدّر المنتقد والشهاب...، ثم حوّل القول إلى فعل وعمل، حيث يذكر محمد الصالح ابن عتيق؛ وهو أحد تلاميذ الإمام: " من جرأة الإمام ابن باديس —رحمه الله— تعليم النّساء، وهي المنطقة التي كانت محرّمة تحريمًا مُغلظا على من يحاول أن يُصلح من شأنها أو يُخفّف من وطأتها.. و إنّي لأذكر مرّة؛ إذ وجدته جالسًا بأحد الدّكاكين، فاستدعاني إلى الجلوس، وما إن استقرّ بي المجلس حتى وجّه إليّ هذا السؤال: ما قولك في فتح دروس بالجامع الأخضر للنّساء"[1].

كان ابن باديس من دعاة تعليم البنات المتحمّسين، لكن بشرط أن يكون هذا التعليم في إطار دائرة المثل الدينية، والمبادئ القومية والأخلاق والحشمة، وبذلك فهو صاحب الرأي والمنهج الوسطي في هذه المسألة، وقد بذل جهده في سبيل توفير تعليم البنات الجزائريات المسلمات، فالرجل لم يكن من دعاة حرمان الفتاة من التعليم، كما لم يكن متساهلاً بخصوص ظروف ومنهج تعليمها. وقد تلخّص نظرة العلماء إلى تعليم المرأة ودورها الاجتماعي في قولهم: إنّ الأمّة كالطائرة لا تطير إلاّ بجناحين، وجناحاها الرجل والمرأة؛ فالأمّة التي تخصّ الذّكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد، فهي واقعة لا محالة"[2].

لقد استطاع ابن باديس تجاوز مرحلة التفكير والتنظير إلى مرحلة التنفيذ والتجسيد، ومع أنّه كان يفضّل المرأة الجاهلة التي تلد للأمة أبناءً يعرفون وطنهم؛ عن تلك التي المتعلّمة تعليما أجنبيا (فرنسيا) سطحيا، يؤدّي بها إلى الاستخفاف بعروبتها وإسلامها وعاداتها وتقاليدها، أ وتلك المثقّفة بالثّقافة الأجنبية التي تلد أولادًا يتنكّرون لهذا الوطن وعاداته وقيمه[3]. والرجل هنا يتجاوب مع الطرح الذي قدّمه المجاوي، إلاّ أنّ ابن باديس مضى قدماً في مشروعه الإصلاحي الذي يستهدف المرأة منذ أن تكون بنتاً إلى أن تصير شابة ثم زوجة وأمّاً، وقد رسم لتعليم النساء حدود معيّنة لا يمكن تجاوزها، ووضع له غايات وأهداف عليا، تنتهي إلى إصلاح المجتمع تمهيدا للانعتاق المعنوي والفكري والثقافي ثم السياسي.

---

[1] – محمد الهادي الحسني: "المعجزة الأخلاقية"، جريدة الشروق اليومي، 13 مارس 2009، الرابط: http://www.echoroukonline.com/ara/articles/33890.html تاريخ الاطّلاع: 12-04-2013، سا 10:12.

[2] - أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج.4، ص170.

[3] – محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، مصر، 1999، ص108.

وقبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ تأسّست في قسنطينة جمعية أُسندت لها مهمّة تربية وتعليم البنين والبنات هي 'جمعية التربية والتعليم الإسلامية'، التي أنشأها ابن باديس سنة 1930م، وتولّى رئاستها بنفسه، وأسند النيابة إلى السيد إسماعيل بن نعمون، بينما كان حسين بن شريف أمين المال[1]. وقد أبدى لبن باديس إعجابه بالدّور الذي تقوم به 'جمعية التربية والتعليم' فكتب عنها: " ومن دواعي الإعجاب بهذه الجمعية أنّها صرفت عنايتها لتعليم الفتاة الجزائرية تعليمًا دينيًا صحيحًا، يتّفق وما تصبو إليه من اقتران ذلك التعليم بالحشمة والفضيلة والعفّة والصّيانة، وممّا يدلّ على أنّ باكورة أعمال هذه الجمعية الحازمة، ممّا يجعلنا نعتقد تسرّب روحها الفيّاضة إلى البلدان الأخرى؛ أنّ المدرسة التي فتحتها هذه الجمعية منذ أشهر قليلة، تضمّ إلى أحضانها نحو ثمانين فتاة، ومثلُ هذا الإقبال يدلّ على أنّ الجزائر متأهبة إلى نفض تلك الأسمال من العرف، الذي يوجب على الفتاة حرمانها من المعرفة والثقافة العلمية والدينية الصحيحة، ومن كلّ ما يؤهّلها لأن تكون جديرةً بالحياة..."[2].

ولم يقتصر تعليم البنات على قسنطينة وحدها؛ بل تأسّست مدارس إصلاحية في كامل ربوع الوطن الجزائري، أما أوّل مدرسة خاصة بالبنات فكانت في الجزائر العاصمة؛ وهي مدرسة 'شريفة الأعمال' بالقصبة، التي لم يخف الشيخ الطيب العقبي، سروره بمشاركة المرأة في احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية سنة 1935 (تلميذات مدرسة الشبيبة)، حيث يذكر الفتى الزواوي في تقرير نشرته الشهاب: "... كما أنّه أبدى (العقبي) ابتهاجاته وإحساساته (كذا)، نحو مشاركة المرأة في الاحتفال الخيري الإسلامي؛ إذ شاهدن هذا المظهر السار، فكنّ إلى جانب الرجال في فعل الخير، هكذا كانت النساء في الإسلام..."[3].

ومنذ سنة 1938م صار للتعليم العربي الإسلامي الإصلاحي منهجاً موازيا لمنهج التعليم الرسمي الفرنسي، ومدارساً منافسة للمدارس الاستعمارية، وأصبح التلاميذ خاصة البنات؛ يفضّلون الالتحاق بالمدارس الحرة لجمعية العلماء، حيث التعليم العربي الموجّه إليهنّ مجانًا، ويتمّ وفق ضوابط إسلامية، وهو ما لا تتوفّر عليه المدرسة الفرنسية؛ ممّا حذا بالأولياء إلى السّماح لبناتهنّ بالالتحاق بمدارس الجمعية.

وإذا كان تعليم البنات الفرنسيات في المدارس الرّسمية الفرنسية بالجزائر، قد عرف تطّورا ملحوظا، حيث وصل عددهنّ إلى 8330 تلميذة سنة 1936م، بعدما لم يكن يتجاوز 358 تلميذة سنة 1882م، فإنّ حظ البنات الجزائريات من التعليم الرسمي الفرنسي بقي شحيحا في جميع أطواره، فحسب جريدة 'النّجاح' القسنطينية؛ فقد بلغ عدد الطالبات المسلمات في التعليم الثانوي 99 طالبة سنة 1936م، ولا وُجود لأيّ بنت في الجامعة إلى حد هذا التاريخ[4].

لقد أدرك ابن باديس هذا الخلل البيّن، والتمييز الواضح بين الفتاة الجزائرية ونظيرتها الفرنسية، وحاول –رحمه الله– تدارك ذلك، فشرع رائد الإصلاح في التخطيط والإعداد لتعليمٍ عالٍ خاص بتلميذات مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يفوق ما حقّقته الجمعية إلى تلك اللّحظة؛ بتأسيسها المدارس الحرة كما ذكرنا، ثم المعاهد التي كانت تعتبر بمثابة مدارس للتعليم

---

[1] – عبد الحميد ابن باديس: "جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، الشهاب، ج2، شوال 1349هـ/ مارس 1931.

[2] – المصدر نفسه.

[3] – عفاف زقور: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشأة وتطوّر الإصلاح بمدينة الجزائر 1931- 1940، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص ص164-165.

[4] – محمد يعيش: كبرى اهتمامات جريدة النجاح القسنطينية: 1919-1956، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002/2001.

الثانوي[1]. ولمّا علم بوجود 'جمعية دوحة الأدب' بدمشق تقوم بإعداد البنات وتكوينهنّ وتعليمهنّ، وكان يقرأ ما تنشره حولها مجلّة 'الرابطة العربية' الذائعة الصّيت والمنتشرة في الجزائر آنذاك، فبادر برسالة إلى مديرة هذه الجمعية، وهي إحدى حفيدات الأمير عبد القادر الجزائري، وتدعى السيّدة عادلة بيهم الجزائري[2]؛ يطلب منها أن تستقبل في مؤسستها التعليمية؛ عددًا من الطالبات الجزائريات من خريجات مدارس الجمعية، لاستكمال تعليمهنّ.

تلقّت رئيسة الجمعية المذكورة؛ رسالة ابن باديس بسرور بالغ، ورحّبت كثيرًا بهذه الفكرة، وأعطت موافقتها لتنفيذها، فاتّصل الشيخ بأولياء الطالبات اللواتي تمّ اختيارهنّ لتشكيل أوّل بعثة طلاّبية من البنات إلى دمشق، وكنّ عشر تلميذات: سليمة بن البرج، سليمة حافظ، نعناعة ونيسي، أختها حليمة ونيسي، صويلح فاطمة، فلة بو البارود، الرامضة بو عبد الله، فاطمة رودسلي، عائشة دمق، أختها ياسمينة دمق. وكان من المفروض أن تسافر الفتيات إلى دمشق في شهر أكتوبر 1939م، لكنّ اندلاع الحرب العالمية الثانية في شهر سبتمبر، ثم وفاة رائد الإصلاح ابن باديس في 16 أفريل 1940م، عطّل هذا المشروع، فتبخّرت آمال البنات وأولياؤهن وأساتذتهنّ[3].

3- تعليم البنات وإصلاح المرأة في الجنوب الجزائري:

عرف الجنوب الجزائري زخما في نشاط الحركة الإصلاحية، وقد تم لهذا الغرض تأسيس العديد من الجمعيات على غرار جمعية الإصلاح بغرداية والمدارس مثل مدرسة الحياة، وتسخير الصحف والجرائد، ومنها صحافة أبي اليقظان والطيب العقبي ببسكرة.. وغيرها. لكن تعليم البنات بقي محدودا في جلّ مناطق الجنوب، بحكم طبيعة المنطقة الصعبة، والعادات التي تحظر على الأنثى الخروج من بيت أهلها إلا للضرورة القصوى، "ففي منطقة سوف كان تعليم البنات نادراً، ويُعتقد أنّ أوّل من علّم البنت القرآن هو الشيخ مصباح بن سالم أحد شيوخ الزاوية السالمية الرحمانية بوادي سوف (...) وكان بمدرسة النجاح فصل بين الجنسين ساعد عليه وجود المعلمين بالعدد الكافي..."[4]. كل هذا رغم الوضعية المزية التي كانت عليها المرأة الصحراوية من تخلّف وجهل وأمية، حالها في ذلك لا يختلف عن حال باقي نساء الجزائر؛ بل هو أكثر سوءا.

---

[1] – كان في صدارة النخبة الجزائرية التي قدّمت دراسة تطبيقية شاملة حول التعليم العالي في الجزائر: محمد بن رحال، من خلال مذكّرة قدّمها أمام جول فيري، رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي سنة 1892م، أدرج ضمنها حلول ومقترحات مسّت بالدرجة الأولى التعليم في المرحلة الثانوية. أنظر: صبرينة الواعر: محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي (1856-1928)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002-2003، ص93.

[2] – زهور ونيسي: عبر الزهور والأشواك: مسار امرأة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص102.

[3] – يحي بوعزيز : المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص ص30-31.

[4] – يوسف زغوان: التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر الوادي، 2014/2015، ص93.

وفي منطقة بسكرة؛ يعتبر الشيخ الطيّب العقبي قطب الإصلاح هناك، فهو مؤسس جريدة 'الإصلاح'، وقد انطلق نشاطه الإصلاحي والدعوي بسيدي عقبة ثم بمدينة بسكرة منذ عام 1920م، وشمل عدّة مناطق من القطر الجزائري وصولا إلى نادي الترقي بالجزائر العاصمة منذ عام 1930م[1].

وكانت أبرز المقالات التي كُتبت في جريدة الإصلاح حول المرأة من توقيع الأمين العمودي تحت عنوان: 'المرأة المسلمة الجزائرية'، وقد تضمّنت الحقوق الأساسية للمرأة عموما، وواقع المرأة الجزائرية في ظل الاحتلال الفرنسي والتقاليد الاجتماعية بشكل خاص، والتي قسّمها الكاتب إلى حقوق مدنية وحقوق أدبية ومنها حقّها في التربية والتعليم، وكان يرى ضرورة إعطاء المرأة حقوقها الأدبية كاملة، وأن تأخذ المرأة حقّها التربية العلمية والخلقية لكي تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وكان العمودي من المدافعين عن تعليم البنت المسلمة؛ تعليما مؤسّسا على قواعد دينية أخلاقية منزلية، وهو لا يمانع أيضا من إرسال البنات إلى المكاتب الفرنسية لتعلّم الفرنسية، مع الاحتياط التّام والتحفّظ الحقيقي بما يلائم عوائدنا وأخلاقنا كمسلمين، ورأى أنّ مهمّة التعليم العربي الإسلامي للمرأة موكلة إلى الآباء والأولياء الشرعيين وليس إلى الحكومة؛ لأنهم مسئولون عن البنت المسلمة أمام دينهم وقوانينهم وضمائرهم. وعن أهمية التعليم كتب العمودي: "وخلاصة القول أنّ تعليم المرأة من الواجبات التي لمن يتهاون بالقيام بها؛ لأنّه أعظم وسيلة لتحسين حالتها الخاصة، وحالة الهيأة البشرية المتركبة من أفراد ليست هي من أقلّها اعتبارا في نظر من يحكم في الأمور بغير حيف، أنّ تربيتها على النمط الأحسن هي الشيء الذي ترفع به منزلتها ويعظم به شأنها وتطيب به حياتها وحياة كل من يتعلق بها ويُنسب إليها مطلقاً"[2].

في حين نجد العديد من المصلحين الذين آثروا الاستقرار بالجنوب لأداء الرسالة الإصلاحية، وتركزّت جلّ اهتماماتهم في سبيل إصلاح المجتمع والمرأة على التربية والتعليم، قد راعوا عادات وتقاليد المجتمع الزيباني والميزابي، التي ترفض خروج المرأة بأي شكل من الأشكال؛ لذلك تركّزت جهودهم بداية؛ على تعليم الإناث تعليما عربيا إسلاميا في الكتاتيب والمساجد، بهدف الحدّ من الأمية المستشرية في الوسط النسوي، وتنشئة البنات على معرفة أمور دينهنّ والتشبع بالثقافة العربية الإسلامية، واللواتي ستوكل لهنّ مستقبلاً مهمّة تربية جيل جديد متمسّك بدينه ومحبّ لأمّته ووطنه.

ويمكن الجزم بأنّ الشيخين إبراهيم بيّوض و أبو اليقظان أبرز شخصيتين نشطتا في مجال الإصلاح الاجتماعي بجنوب الجزائر، وقد أولى الرجلين أهمية بالغة لتعليم وتربية الفتيات، فدأبا على متابعة نشاط المدارس الحرّة هناك، وخصّصا أقسام للبنات، ساهمت في انتشار الأفكار الإصلاحية والتخفيف من حالة الجهل والأمية والتخلّف الذي كانت تقبع في ظلّه المرأة الميزابية والصحراوية عموما.

ولئن كان أبو اليقظان قد أعطى الأهمية والأولوية للصحافة الإصلاحية؛ كوسيلة لإنارة الفكر ونشر الوعي، فإنّ الشيخ بيّوض اختار منهج التربية والتعليم؛ لبثّ الفكر الإصلاحي، وهذا لا يعني إهمال العمل الصحفي، فقد كان الشيخ بيّوض خير

---

[1] – كمال عجالي: "الطيب العقبي أعماله وجهوده الإصلاحية في بسكرة من 19210م- حتى 1930م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع.1، نوفمبر 2001، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

[2] – جريدة الإصلاح، ع.8، السنة الثالثة، 28 نوفمبر 1929. نقلا عن: قوادري زهرة: القضايا العربية والإسلامية من خلال جريدة الإصلاح للطيب العقبي (1927-1948)، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2009/2008، ص ص86-87.

سند وداعم لصحافة أبي اليقظان، الذي لم يهمل بدوره سبيل التعليم والمدرسة كوسيلة للإصلاح. وقد صرّح الشيخ بيّوض بهدفه من التربية قائلا: " إنّ غرضنا أن نُنشئ لهذه الأمّة في طورها الجديد جيلاً كامل العدّة للنضال والكفاح في شتى الميادين، فيحدث في الأمة انقلابا كبيرا، ويدفع بها خطوات واسعة إلى مطمحها الأسمى..."[1].

4- تطوّر تعليم البنات خلال رئاسة الإبراهيمي للجمعية:

بعد وفاة ابن باديس أوكلت رئاسة جمعية العلماء للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، و خلالها خطى المشروع الإصلاحي في تعليم البنات خطوات مهمّة، رغم التضييق الذي فرضته الإدارة الفرنسية على التعليم العربي الحرّ، سيما بعد صدور قانون 8 مارس 1938م.

وقّع الإبراهيمي عدد من المقالات في 'البصائر' ، والتي تتناول وضع المرأة في الجزائر، وتشرح أهداف وغايات المشروع الإصلاحي لتربية وتعليم البنات المسلمات، ومن وجهة نظر الإبراهيمي: " فالتربية هي غاية، والتعليم فهو الوسيلة لذلك، والغاية تسبق الوسيلة عند بناء الخطّة، ولكن لا بدّ منهما معًا؛ لذلك كانت نظرته إلى التعليم تحدّد ما ينبغي أن يتّجه إليه الجهد المدرسي، فالاهتمام بنوع الأَثَر الذي تُحدثه المعلومات المقدّمة للتلاميذ أهمّ وأَولَى من كثرة المعلومات التي تُحشَى بها أذهانهم"، ونجد هذا المنهج واضحًا في الخطّة التعليمية التي اتّفق مع ابن باديس عليها منذ عقود خلت، يقول الإبراهيمي في هذا الصدد: " كانت الطريقة التي اتّفقت عليها أنا وابن باديس في المدينة المنوّرة؛ في تربية النشء هي أن لا نتوسّع له في العلم، وإنّما نربّيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل". وبخصوص التعليم الذي يُريده العلماء للأمّة يقول الإبراهيمي: " الأمّة تُريد تعليمًا عربيًا يُساير العصر في قوّته ونظامه، لا تعليمًا يحمل جراثيم الفناء وتحمله نُذر الموت"[2].

إنّ تعليم المرأة في المدرسة الباديسية، خالف كلّ أساليب التعليم المُعاصرة له في الجزائر؛ حيث مزج في منهجه بين التعاليم الإسلامية والمبادئ القومية والوطنية وعُلوم العصر، فهو يشترط أن يكون هذا التعليم في دائرة المُثُل الدّينية والقومية والأخلاق والحشمة، بحيث " لا تجعل منها نصف رجلٍ ولا نصف امرأة"[3]؛ لأجل ذلك لم يُهْمِل العلماء تعليم اللّغة الفرنسية، بل انتدبوا معلّمات فرنسيات لهذا الغرض، ولم يفرض العلماء على المعلّمات بمدارس الجمعية هندام معيّن، لا بل إنّ غالبيتهنّ كنّ غير متحجّبات؛ سواء معلّمات اللغة الفرنسية أو اللغة العربية وباقي المواد المقرّرة، هذا الأمر أكّدته السيدة زهور ونيسي في مذكّراتها، عند حديثها عن معلّمتها الأولى بقسنطينة، إذ كتبت: "أمّا التي علّمتني الحروف الهجائية، ودرّبت لساني على النّطق والكلام بلغة عربية سليمة، ومرّنت أصابعي على الكتابة بخطّ جميل، فهي السيّدة حورية أو 'لالة حورية'[4] كما كنّا ندعوها بزهو

---

[1] – مصطفى باجو: "الشيخ إبراهيم بيّوض مربيا"، مجلة المعيار، مج1، ع.2، ديسمبر 2001، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص273.

[2] – عبد القادر فضيل: "التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مجلة الوعي، ع.2، 1431هـ/ نوفمبر 2010، دار الوعي، الجزائر، ص ص42-43.

[3] – عبد الكريم بوصفصاف: الفكر..، ج.2، المرجع السابق، ص ص44-45.

[4] – كلمة 'لالة' لقب شرفي يُطلق على السيّدات ذوات الشأن، وهو لفظ أمازيغي مُتداول على نطاق واسع في منطقة شمال إفريقيا، وغير مستعمل في بلاد المشرق العربي. أنظر:

الطفولة. كانت 'لالة حورية' لا تختلف أبدًا عن المعلّمات بالمدارس الفرنسية، ذات هندام عصري أنيق، ونظّارات ذهبية، وحذاء ذي كعب عالٍ، وشعر قصير مسرّح حسب موضة ذلك الوقت"[1].

هذه الأوضاع المستجدّة أثار قلق الإدارة الاستعمارية في الجزائر، والتي لم تجد بين يديها من القوانين العامة ما تتّخذه سلاحًا ضد النشاط الإصلاحي، فالتجأت إلى القرارات الإدارية؛ بهدف التضييق على التعليم العربي الحرّ ومطاردة رجاله من معلّمي جمعية العلماء، الذين سيق بعضهم إلى القضاء وسُجنوا، وحاولت فرنسا إلجام صحافة الجمعية، واعتبار اللغة العربية لغةً أجنبية في الجزائر[2]، ثم عمدت إلى إصدار قانون 8 مارس 1938م، الذي جاء خصيصا لمحاربة التعليم العربي الحرّ في الجزائر، وأصبحت التقارير تحذّر من خطر الدور الذي تلعبه مدارس الجمعية ومعلّميها على مستقبل الاحتلال الفرنسي.

وكان الإبراهيمي منذ نزل بتلمسان عام 1933م، قد شرع في بثّ التعليم العربي الحرّ، ونشر الفكر الإصلاحي، وبعث الحركة العلمية هناك، فحرص –رحمه الله– على افتتاح مدرسة لتعليم البنات بجوار 'دار الحديث'، هي مدرسة 'عائشة أم المؤمنين' التي فتحت أبوابها يوم الأحد 11 ماي 1952م، بأربعة أقسام ضمّ كل قسم 45 فتاة، وأُقيم حفل بالمناسبة حضرته حوالي 800 امرأة، قدّمت خلاله التلمسانيات حليّهن لتسديد الديون المترتبة على المدرسة، فجُمع مبلغ 750 ألف فرنك[3]، وهو مبلغ ليس بالهيّن بالنّظر إلى ظروف الجزائريين في ذلك العصر.

ولعبت مدرسة دار الحديث بتلمسان دور بارز في تعليم النساء، وكان عددهنّ في تزايد مضطرد، كما قام المشرفين عليها بجلب المعلّمات للتدريس بها، ولم يشترطوا عليهن ارتداء الحجاب، لحاجة المدرسة إليهنّ؛ كون بعضهنّ من الفرنسيات، وقد آثر الإبراهيمي تحقيق غايته القصوى، والمتمثّلة في القضاء على الجهل في تلمسان، على الانتباه كثيرا إلى مظهر المعلّمات، ويمكن أن نسجّل هنا شهادة السيّدة زهور كاهية الثاني، وهي إحدى تلميذات دار الحديث، التي تقول: *" في ذلك الوقت كنت أتابع الدّروس بمدرسة الحديث، كان الأساتذة يجتهدون ليعلّمونا قراءة وكتابة اللّغة العربية، والأشعار المختارة كانت تتمحور دائمًا حول حبّ الوطن، الأناشيد التي كنّا نتعلّمها هي 'من جبالنا'، 'موطني'، 'شعب الجزائر'، 'حيو شمال إفريقيا' ... وهذه الأنشودة مُهداة لشهداء 8 ماي 1945"*[4].

وازدهر تعليم الفتاة المسلمة في الجزائر؛ لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية (1946-1952)، حيث وصل عدد الإناث في مدارس الجمعية إلى 5696 بنت سنة 1950؛ ليقفز الرقم إلى 13 ألف بنت سنة 1953م، وقد جادل الإبراهيمي جدلاً كبيرًا في المسألة، ودافع عن حقّ الفتاة في التعلّم؛ بل اعتبره واجبًا عليها... وكان الإمام يُخطّط لإنشاء دار

Edmond Douté : Les Marabouts: notes sur l'Islam en la berbère musulmane, extrait de la revue de l'histoire des religions, Ernest Leroux, Paris, 1900 ; Editions Alger-livres, Alger, 2008, p31.

[1] – زهور ونيسي، المصدر السابق، ص111.

[2] – محمد خير الدين: مذكرات، ج.1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص137.

[3] – عبد الرحمان بن بوزيان: دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحية بتلمسان 1937-1956، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2013، ص179.

[4] – جيلالي صاري: بروز النخبة المثقّفة الجزائرية (1850-1950)، تر.عمر المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص332.

للمعلّمات ومعهد للبنات، على غرار معهد ابن باديس للذّكور، وقد ساء الاستعمار وأتباعه أن تُقبل البنت الجزائرية على مدارس جمعية العلماء، فأشاع عن طريق أذنابه في الجزائر، أنّ مدارس الجمعية 'عرّضت الأعراض للتمزيق'... فتصدّى محمد البشير الإبراهيمي بقلمه لتلك الحملة الشعواء وكشف هدفها: " إنّ الاستعمار متشائم بتعليمها –الجمعية– للبنت المسلمة؛ لأنّ نتيجته ستكون بنت صالحة، تصبح غدًا زوجة صالحة، وبعد غدٍ أمًّا صالحة، وهالَه أن تعمُر البيوت بالصالحات، فيلدْن جيلاً صالحا، صحيح العقائد، متين الإيمان، قويم الأخلاق طموحًا في الحياة، فتطول به غصّته ثم تنتهي به قصّته (...)؛ لأنّ الاستعمار بعيد النّظر، عارفًا بما للمرأة في أمّتها من الأثر؛ فهو– لذلك– حرّكهم وما زال يحرّكهم لإثارة هذا الغبار الأسود في وجه جمعية العلماء لزعزعة ثقة الأمّة بالجمعية في خصوص تعليم البنت"[1].

وفي غليزان بالغرب الجزائري؛ التحقت العديد من الفتيات الجزائريات بالمدارس الحرة منذ عام 1943، وذكرت 'البصائر' سنة 1948 أسماء بعضهن: بدرة جلول عبو، خديجة بن يحي، ربيعة بريكسي، خيرة بن يحي، خديجة قاضي، آمنة بن ساعو، فاضلة بن حجي... ومنهنّ من واصلت دراستها إلى السنة النهائية، وعيّنت معلّمتان بالمدرسة نفسها[2].

وقد أشرف على تأطير البنات والبنين، معلّمين ومعلّمات؛ بلغ عددهم عام 1951م، وفقًا لما أوردته جريدة 'البصائر': 275 معلّمًا ومعلّمة [3]، ولا يدخل ضمن هذا العدد؛ المعلّمون المسجونون في سجون الاحتلال الفرنسي بسبب نشاطهم التربوي والوطني. ويعطي أحمد توفيق المدني رقما كبيرًا لعدد المعلّمين، فهو يجعلهم 900 معلّم. أمّا التلاميذ؛ فكان عددهم خلال هذه المرحلة في تصاعدٍ دائمٍ، وقد بلغ في العام نفسه: 36286 تلميذًا وتلميذة، منهم 16286 تلميذا يتلقّون تعليمهم في النهار، ويكتفون بالتعليم العربي فقط، ولا يتردّدون على المدارس الفرنسية الرسمية، ويُوزّعون عدديًا بين ذكور وإناث كما يلي: 10590 ذكور، 5696 إناث[4]، في حين يذكر فرنسيس جونسون (Francis Johnson) عددا يتراوح بين 45 ألف و50 ألف تلميذًا، ويُعطي 'مارل' (Merle) الرقم 22000، ويرفض ما تقول به جمعية العلماء بأنّ لديها 40000 تلميذًا وتلميذة[5].

وبغضّ النّظر على مدى صحّة ودقّة هذه الإحصائيات حول مدارس وتلاميذ مدارس جمعية العلماء؛ فالمؤكّد أنّ تعليم البنات عرف طفرة من حيث الكمّ وقفزة نوعية في عهد رئاسة الإبراهيمي للجمعية، انعكست على الوضع الثقافي للمرأة والأسرة الجزائرية، وعلى حركة المجتمع ككلّ، فأحيت فيه روح التطلّع للحرية.

خاتمة:

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997،ص ص21-22.

[2] – محمد مفلاح: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان 1931-1957م، دار قرطبة، الجزائر، 2011، ص113.

[3] – جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ع.172-173، 15 أكتوبر 1951.

[4] – ضمن التقرير السنوي الذي ألقاه الإبراهيمي أمام الهيئة العامة لجمعية العلماء في شهر أكتوبر عام 1951م. أنظر: أحمد طالب الإبراهيمي: آثار...، ج.2، مصدر سابق، ص433.

[5] – أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص213-215.

لئن كان لروّاد الإصلاح الأوائل قدم السّبق في الدّعوة إلى فتح المجال أمام البنت الجزائرية للتعلّم، وتحسين ثقافتها ونمط حياتها، ورأوا ضرورة تعلّمها الفرنسية بعد أن تكون قد حصّنت نفسها بتعلّم لغتها العربية وأحكام عقيدتها الإسلامية؛ فإنّ رجال 'جمعية العلماء' يتقدّمهم ابن باديس، استطاعوا أن يحوّلوا التنظير إلى تنفيذ وتجسيد، فكانوا بحقّ 'علماء عاملون'، قطفت المرأة والمجتمع ثمار مشروعهم الإصلاحي.

إنّ الفكر الإصلاحي الباديسي في تربية وتعليم البنت الجزائرية؛ قام على الارتباط الوثيق بين التربية بالتّعليم، والتربية في نظر ابن باديس ورفاقه، هي ما يُحدثه النشاط التعليمي من تغيير إيجابي في شخصية المتعلّم ذكرًا أو أنثى؛ في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه، بحيث يجعله يتلقّى تربية شاملة تُعزّز ارتباطه بدينه ولغته، وتُعمّق شعوره بالانتماء إلى الوطن وتقديس تاريخه، وتجعله يحافظ على شخصيته، وهذا المعنى محدّد في القانون الأساسي الذي وضعه ابن باديس عند تأسيس 'جمعية التربية والتعليم'؛ إذ أورد فيه: " بُني القانون الأساسي من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم..."[1].

إنّ مشروع التعليم العربي الإصلاحي، الذي قاده رجال 'جمعية العلماء المسلمين الجزائريين'، أنشأ جيلا جزائريا يحمل ثقافة جديدة، تناهض سياسة التجهيل التي فرضها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، واستطاع المصلحون أن يغطّوا مختلف مجالات التربية والتعليم والإصلاح، وأن يملئوا الفراغ الذي أحدثه الاحتلال بإهماله للتعليم، وأن يؤسّسوا لمنهج تربوي تعليمي جزائري خالص ومتكامل؛ استهدف البنين والبنات على حدّ السواء، وجمع بين التربية على الأخلاق، وتعليم أصول الدين، وبناء شخصية المرأة في جوانبها الإيمانية والخلقية والروحية والعلمية، واستطاع العلماء عبر هذا التعليم إحياء الوعي في نفوس الناشئة، وبثّ روح التحرّر وقيم المواطنة، وتلقين التلميذات 'العلوم الدنيوية، وأصول إدارة شؤون بيوتهنّ، وإعدادهنّ ليكنّ زوجات وأمّهات صالحات.

لقد تجلّت ثمرات هذا المشروع أيضا، في الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية، وجعل دور المرأة الجزائرية يكمّل دور الرّجل، انطلاقا من فكرة مفادها أنّ المرأة ليست نصف المجتمع؛ بل هي المجتمع كلّه. وهكذا ظهرت أدبيات ومصلحات وصحافيات، هنّ خريجات مدارس الإصلاح، نذكر منهنّ زهور ونّيسي وليلى بن ذياب وزليخاء إبراهيم عثمان ولويزة قلال...، ساهمن بأقلامهنّ في 'البصائر' في رفع حجاب الجهل عن الشابة الجزائرية المسلمة، وقدّمت كتاباتهنّ النموذج الحديد للمرأة الجزائرية 'الجديدة'، التي تختلف كليّة عن المرأة التي أنتجتها السياسة الاستعمارية، التي روّجت لفكرة 'عدم قابلية الفرد الجزائري للتعلّم والتحضّر'، وبنجاح المشروع الإصلاحي؛ نفضت المرأة الجزائرية عنها أسمال الماضي، ولعبت دورها الاجتماعي والسياسي و والحضاري في خدمة أمّتها ووطنها، وتحرير أرضها من الاحتلال الفرنسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- عبد الهادي بوطالب: حقوق الأسرة وتحرير المرأة، دار الثقافة؛ مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، (د ت).

[1] – عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ط.3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص103. أنظر أيضا: عبد القادر فضيل: "الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب"، مجلة الوعي، ع.1، رجب-شعبان 1431/جويلية 2010، دار الوعي، الجزائر، ص65.

2- أحمد مريوش: الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005.

3- أحمد مريوش: "مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر 1900-1952"، مجلة الحكمة، ع.1، أفريل 2009، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر.

4- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.2، المطبعة العربية، الجزائر، 1981.

5- Ounassa Tengour-Siari: « Medjaoui Abdelkader (vers 1840…) parcours », les hommes et l'histoire, n° 13-14, octobre 1990.

6- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940، ط.3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

7- عبد القادر المجاوي: تحفة الأخيار فيما يتعلّق بالكسب والاختيار، (ضمن سلسلة الشيخ عبد القادر المجاوي حياته وأعماله)، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

8- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج.1، دار الهدى، الجزائر، 2005.

9- عبد القادر المجاوي: اللّمع على نظم البدع: شرح منظومة البدع للمولود بن الموهوب، تح.عبد الرحمان دويب، دار زمورة، الجزائر، 2010.

10- حميدة دريادي: الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره في نهضة الجزائر الحديثة: 1848-1914، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2012/2011.

11- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: محمد بن أبي شنب: حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

12- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.6 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2007.

13- مصطفى بن الخوجة: الاكتراث في حقوق الإناث، تح. زهير قوتال، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

14- محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط.2، ألفا ديزاين، الجزائر، 2006.

15- عمر بن قدور: "بجهل المرأة المسلمة وأحلامها الفاسدة نال الشعب من كوارث البدع ما ناله"، الفاروق، ع.38، 28 نوفمبر 1913.

16- عبد الحميد بن باديس: " الأستاذ ابن شنب رحمه الله تعالى"، الشهاب، ج.2، شوال 1347هـ.

17- عبد الكريم بوالصفصاف: "موقف العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم المرأة الجزائرية إبان الربع الثاني من القرن العشرين"، مجلة سيرتا، ع.1، ماي 1979م، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.

18- محمد الهادي الحسني: "المعجزة الأخلاقية"، جريدة الشروق اليومي، 13 مارس 2009، الرابط: http://www.echoroukonline.com/ara/articles/33890.html

19- محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، مصر، 1999.

20- عبد الحميد ابن باديس: "جمعية التربية والتعليم الإسلامية"، الشهاب، ج2، شوال 1349هـ/ مارس 1931.

21- عفاف زقور: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشأة وتطوّر الإصلاح بمدينة الجزائر 1931- 1940، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2007/2006.

22- محمد يعيش: كبرى اهتمامات جريدة النجاح القسنطينية: 1919-1956، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001-2002.

23- صبرينة الواعر: محمد بن رحال ودوره السياسي والثقافي (1856-1928)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2002-2003.

24- زهور ونيسي: عبر الزهور والأشواك: مسار امرأة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012.

25- يحي بوعزيز : المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

26- يوسف زغوان: التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931-1962م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمة لخضر الوادي، 2015/2014.

27- كمال عجالي: "الطيب العقبي أعماله وجهوده الإصلاحية في بسكرة من 19210م- حتى 1930م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع.1، نوفمبر 2001، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

28- جريدة الإصلاح، ع.8، السنة الثالثة، 28 نوفمبر 1929. نقلا عن: قوادري زهرة: القضايا العربية والإسلامية من خلال جريدة الإصلاح للطيب العقبي (1927-1948)، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009/2008.

29- مصطفى باجو: "الشيخ إبراهيم بيّوض مربيا"، مجلة المعيار، مج1، ع.2، ديسمبر 2001، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

30- عبد القادر فضيل: "التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي"، مجلة الوعي، ع.2، نوفمبر 2010، دار الوعي، الجزائر.

31- Edmond Douté : Les Marabouts: notes sur l'Islam en le berbère musulman, édition Ernest Leroux, Paris, 1900 ; Editions Alger-livres, Alger, 2008.

32- (الشيخ) محمد خير الدين: مذكرات، ج.1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت).

33- عبد الرحمان بن بوزيان: دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحية بتلمسان 1937-1956، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2014/2013.

34- جيلالي صاري: بروز النخبة المثقّفة الجزائرية (1850-1950)، تر.عمر المعراجي، ANEP، الجزائر، 2007.

35- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

36- محمد مفلاح: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة غليزان 1931-1957م، دار قرطبة، الجزائر، 2011.
37- جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ع.172-173، 15 أكتوبر 1951.
38- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
39- عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ط.3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.
40- عبد القادر فضيل: "الفكر التربوي الباديسي الحاضر الغائب"، مجلة الوعي، ع.1، جويلية 2010.